المبحث الخامس

الحركة الإنسانية والاصلاح الديني:

تمهيد

الحركة الإنسانية

1- الحركة الانسانية: (المفهوم - المنهج – التوجه)

2- عوامل ظهورها

3- مظاهرها

خلاصة

الاصلاح الديني

تمهيد

1 -مفهوم الاصلاح الديني

2-إرهاصات الاصلاح الديني

3- الإصلاحات الدينية الكبرى (ثورة مارتن لوثر)

3-1 نشأة مارتن لوثر وأفكاره الاصلاحية

3-2 مبادئ الاصلاح الديني عند لوثر

3-3 العوامل المساعدة على إندلاع الثورة اللوثرية

3-4 إندلاع الثورة ضد الكنيسة في ألمانيا ونتائجها

3-5 إنتشار حركة الاصلاح الديني في أوروبا

3-6 إنتشار المذاهب البروتستانتية

4 - حروب الثلاثين عاما 1618-1648

تمهي-د:

تميزت النهضة الأوربية عموما بطابعها الإنساني بتركيزها على دراسة التراث الإنساني القديم الإغريقي واللا تيني وإحيائه في ثوب جديد للتعبير عن مشاكل الناس والتعبير عن الواقع، عكس ما كان لعلماء هذه النزعة في أوربا خلال العصر الوسيط الذي ركزوا فيه على الدين والفلسفة كمطية لنيل الآخرة دون التعبير عن واقع الحياة ومعيشة الإنسان بحكم هيمنة الكنيسة التي جعلت اهتمام الفكر الأوروبي يلتف حول المركزية اللا هوتية على حساب المركزية الإنسانية.

وبذلك فقد ارتبط ظهور المذهب الانساني بعصر الإصلاح الديني وعصر النهضة في القرنيين الخامس عشر و السادس عشر، حيث بدأ التحول من الدين إلى العلم ومن الله إلى الانسان() فماهي مظاهر هذا التحول؟ وما هي انعكاساته على أوربا خلال عصر النهضة؟

الحركة الانسانية:

1- الحركة الإنسانية : المفهوم- المنهج- التوجه:

هي محاولة إحياء التراث الأوروبي القديم اليوناني واللاتيني والاستفادة من قيمه وعلمه()، وقد أطلق على مشتغليها بالإنسانيين لأنهم تناولوا في دراستهم العلوم الإنسانية التي تناولها أدباء وفلاسفة وفنيو وعلماء اليونان والرومان فجعلوا من الإنسان وحياته الحاضرة محورا لدراساتهم وأبحاثهم الأدبية والفنية والعلمية()، لأن العصر الوسيط لم يهتم علماؤه الإنسانيين بإحياء العلوم الإنسانية القديمة بقدر ما اهتموا بالمسائل اللا هوتية التي كانت محصورة في الدين والفلسفة فأهملوا محورية الإنسان، أما إنسانيو عصر النهضة فقد قفزوا على العصور الوسطى ـ التي دامت حوالي ألف سنة ـ من أجل التواصل مع الحضارة اليونانية الزاهية وأعلامها العباقرة، أمثال سقراط وأفلاطون وجالينوس وفيتاغورس وهوميروس.... وغيرهم، فكانوا يأخذون النموذج اليوناني بكل ثقل علمائه ويقومون بمحاكاته أو تلخيصه أو تفسيره بوضع الهوامش والتعليق على الشروحات أو تحقيق النصوص()، ثم يقيمون النتائج عن طريق المنطق والتجريب الذي ظهر كمنهج خلال عصر النهضة.

فالعلماء الإنسانيون رغم شغفهم بالتراث اليوناني واللاتيني فإنهم كانوا غير مستعدين دراسته دون تنقيح، ف الجهد الإنساني بالنسبة لهم مصدر لكل نظرية وليست المصادر المسبقة من الكنيسة أو من علماء اليونان. ()

ولعل نظرية "دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس" التي خالف فيها كوبرنيك عالم الفلك اليوناني (بطليموس) بناء على منهج فيثاغورس الرياضي إلا دليل على درجة التنقيح والاستفادة للحركة الانسانية من التراث القديم. ()

بقي أن نشير إلى موقف الإنسانيين من تراث العصور الوسطى، خاصة التراث المسيحي، فإننا نقول بأنهم كانونا مؤمنين بالمسيحية وقيمها - رغم اعجابهم بالعلماء اليونانيين الوثنيين – وكانت نزعتهم الإنسانية اتجاه هذا العصر الذي ظهرت فيه المسيحية بأوربا هو أن " الإنسان مقياس كل شيء، وهو مركز الكون، وهو المخلوق المتميز المدعو الى تجسيد إرادة الله على الأرض وذلك بفضل العقل والنعمة الإلهية"()، فكانت بذلك نزعتهم الإنسانية مؤمنة ولم تكن إلحادية (كما حصل لفلاسفة الغرب لاحقا مثل سارتر وهيدجر)، فالنزعة الإ نسانية في عصر النهضة لم تكن تعني التمرد على الله من أجل الاهتمام بالإنسان فقط، وإنما كانت تعني الا هتمام بالانسان لأنه أعظم وأهم مخلوق خلقه الله وزوده بالعقل()، لأن الكنيسة في العصر الوسيط أهانت هذا الانسان ولم تجعل له قيمة اجتماعية بالتحالف مع نظام الاقطاع باسم التفويض الالهي، فصادرت حقه في الحياة والمعرفة غير المعرفة التي تقرها، فحاولت اغتيال عقله بالجمود والبدع والخرافات، فظهرت النزعة الا نسانية لإعادة الاعتبار لقيمة هذا الانسان والدفاع عن حقه في التحرر وفي تطوير قدراته ومواهبه. ()

2- عوامل ظهورها:

تظافرت عدة معطيات أدت الى ظهور النزعة الانسانية الرامية الى إحياء التراث اليوناني والروماني والاستفادة منه في عملية النهضة نذكر منها:

تطور المدن الإيطالية ونموها الاقتصادي المتسارع، وفر ثروة مالية ساعدت على توفير الدعم المادي لجمع المخطوطات وإنشاء المكتبات والأكاديميات لدراسة التراث القديم ومناقشته، مثل أكاديمية أفلاطون (فلورنسا)، أكاديمية في البندقية، ومن الدراسات التاريخية (إيطاليا)، أكاديمية نابولي المتخصصة في الأدب، و الأكاديمية الجديدة في البندقية، ومن المكتبات نجد مكتبة الفاتيكان التي كانت تحتوي على 12 ألف مجلد. ()

التشجيع الكبير الذي لقيته هذه الحركة من حكام المدن الايطالية خصوصا أسرة آل مديتشي (فلورنسا) التي لعبت دورا كبيرا في عملية جمع المخطوطات، أدى الى رواج تجارة المخطوطات بين القسطنطينية ومختلف المدن الايطالية. ()

ثم لا ننسى أن ايطاليا وريثة الحضارة الرومانية، تملك مخزونا من الوثائق اللاتينية، جعل الايطاليين يقبلون على دراستها، كما ان الأسر الحاكمة في ايطاليا شجعت الحركة الانسانية في مجالها الفني والأدبي كأسرة مديتشي وأسرة فيسكونتي (ميلانو) وأسرة بورجيا (حكمت أملاك البابوية). ()

فضلا عن ذلك فإن المدن الايطالية (بحكم موقعها ونشاطها التجاري وتاريخها) كانت على تواصل ثقافي مع

القسطنطينية، وكان علماء الأخيرة يزورون المدن الايطالية ويلقون المحاضرات في مختلف الأكاديميات في فلورنسا وميلانو والبندقية، كالعالم الانساني "تيودور غازا" و " جورج الطرابزوني" اللذين كان لهما دور كبير في نشر الثقافة اليونانية بإيطاليا. ()

وبعد فتح القسطنطينية (1453م) أدى إلى هجرة واسعة لعلماء المدينة الى المراكز العلمية الايطالية()، الذين نقلوا معهم التراث اليوناني.

كما كان للطباعة دور في نشر التراث اليوناني واللاتيني القديم وكذا نشر الدراسات المتعلقة به فرغم أن اكتشافها كان بألمانيا (1454م) فإنها وصلت سريعا لإيطاليا (1465م) مهد النزعة الانسانية وحاضرتها الكبيرة أدى إلى قيام حركة واسعة تهتم بطبع الكتب النادرة القديمة والمخطوطات التي أصبحت في متناول الجميع. ()

3- مظاهر الحركة الانسانية:

3-1في إيطاليا:

ظهرت حركة إنسانية نشطة في إيطاليا للحصول على المخطوطات اليونانية واللاتينية، قام بها المثقفون والط لاب، اختصت بجمع المخطوطات مثل " جيوفاني" و " فسبزيانود دايستشي " الذي كان من أبرز عملاء جمع المخطوطات في فلورنسا خلال القرن الخامس عشر، وحتى البابوية كان لها أشخاص مهتمين بشراء المخطوطات وخصصت أموالا لذلك، وقد أمكنت هذه الحركة من الحصول على مخطوطات لاتينية نادرة ومهمة مثل مخطوطات الكاتب الروماني " كوينتليانوس " الذي اشتهر بخطاباته في القرن الأول ميلادي، ومخطوطات الشاعر الروماني " فلاكس" التي تعود كذلك للقرن الأول ، ورسائل " شيشرون" الخطابية، وحوليات المؤرخ الشهير " تاكيتوس " الذي أرخ للغزوات الجرمانية، ويعد هذا من أهم الاستكشافات في عملية جمع المخطوطات القديمة. ()

كما اتجهت النزعة الانسانية في إيطاليا إلى الاهتمام بالتاريخ والآثار الرومانية القديمة التي تعرضت للتلف، حيث ظهرت كتابات عن الآثار الرومانية وتخطيط مدينة روما()، وأعطيت أهمية بالغة لعلم التاريخ، الذي أصبحت دراسته على أساس نقد لا على أساس سرد، اعتماد على المصادر الأصلية، إذ غدت دراسة الوثائق التاريخية تتبع مراحل النقد التاريخي حتى تثبت صحتها من عدمها، وظهرت في هذه الدراسات حرية الرأي وا لابداع والنقد وعدم الالتزام بالمواضيع الدينية، وكان نتيجة ذلك ظهور مدارس النقد التاريخي في إيطاليا. ()

ويعد " لرونزوفاللا" (1407-1457م) من أهم النهضويين الإنسانيين، دافع عن حرية الاختيار كحق طبيعي للإ نسان وطبق المنهج الفيللوجي التاريخي على الوثيقة الكنسية المزيفة (هبة قسطنطين)()، وهي الوثيقة التي اعتمد عليها الباباوات في العصور الوسطى لاثبات شرعية سلطانهم في إدارة المسائل السياسية (تنصيب الأ باطرة). ()

وكانت النزعة الإنسانية في مجال الأدب واضحة في إيطاليا، إذ انفردت بانتاج أدبي غزير كان من أبرز قاماته داتي وبوكاشيو وبترارك()، هذا الاخير تذوق الاتجاهات الإنسانية للكتابات الرومانية حتى أطلق عليه والد الإ نسانية، وظهرت مدرسة بترارك، إنظم إليها المثقفون()، وهذا بسبب تأثيره الواسع إذ انتشرت قصائده الغزلية في كل أوروبا، وكان من أول الإنسانيين المهتمين بالأدب القديم جمع حوالي مائتي مخطوطة()، أتقن اللغة اللا تينية وتميز في كتاباته بروح التحرر في التفكير والتعبير() حيث شرح قصة حب معشوقته في صراحة لم تكن معهودة في العصور الوسطى، تغنى بمحاسنها ووصف جسدها جزءا بجزء ضاربا عرض الحائط تقاليد العصر الوسيط، تميز بدعوته الى الوحدة السياسية في إيطاليا لتكون هذه الدعوة مع دعوة دانتي (الذي أحيا اللغة الايطالية) بداية للفكرة القومية في أوروبا()، كما أحيا بوكاشيو الأدب القديم بنزعة إنسانية ملؤها الأمل في الحياة بنظرة متفائلة باسمة. ()

وأشد ما تميزت به النزعة الانسانية في إيطاليا طابعها الفني، فبعدما كان الفن في العصر الوسيط مسخرا لأ غراض الكنيسة تحرر الفنانون الإيطاليون فأبدعوا في إبراز مظاهر الطبيعة وجمال جسم الإنسان من خلال أعمال الفن التصويري والنحت وفن العمارة الذي اشتهرت به فلورنسا والبندقية وروما()، وقد برزت نزعة الفن ا

لإنسانية في حب الطبيعة وجمالها وضعف الأثر الديني والابتعاد عن الصور القديمة المتصفة بالجمود ودراسة وتشريح أعضاء جسم الانسان وحرية التعبير وظهور العبقرية()

وكان من أبرز زعماء النزعة الإنسانية في فن التصوير ليوناردو دافنشي (1452-1519م)، من أشهر صوره الجوكندا (La Jacanda) أو الموناليزا، أبدع فيها بإظهار المظاهر النفسية والجمالية لشابة إيطالية من نابولي تسمى موناليزا تزوجت في السادس عشر من عمرها – عن غير قناعة – من ضابط يدعى جوكاند يكبرها بعشرين سنة، وقد عبر دافنشي عن حالة الشابة في هذه الصورة، فرسمها جالسة في مكان منعزل على صخور تعبرها مياه غزيرة، تمر إلى عالم مجهول، تعبيرا واضحا عن حالتها النفسية والاجتماعية. ()

وبذلك يكون دافينشي قد عبر بأدق التفاصيل عن هذه الحالة بالرسم والألوان، حتى خرجت الصورة معجزة فنية خالدة، وذكر دافنشي أهم قواعد الرسم، فلخصها في أن تكون أعمال الشخص المصورة معبرة عن حالته النفسية؛ كالرغبة والاحتقار والغضب والرحمة. ()

وبنفس الطريقة والمنهجية برزت نزعته الإنسانية في التعبير عن صورة " العشاء الرباني الأخير " صور فيها المسيح وحوله الحواريون أمام المائدة عليها الخبز وآنية الشراب وبرزت على المسيح علامات الألم للخيانة، وبرزت أحاسيس معينة على الحواريين؛ كالألم، الخوف، الدهشة، الاستنكار، الجزع البراءة، الغضب. ()

إلى جانب دافنشي نجد " رفاييل " (1483-1520م)، اعتبره البعض بأنه الممثل الأول لفن التصوير الايطالي في عصر النهضة، اشتهر بصوره الدينية المتعددة()؛ أبرزها صورة تتويج العذراء وصور: الثالوث ، خلق حواء ، زواج العذراء ، المسيح على الصليب، قيامة المسيح ، العذراء بين القديس فونسيس والقديس جيروم، العذراء حاملة الكتاب، ومن أقدم لوحاته " المادونا " (1501م).

وقد ذكر عن دافنشي أنه لا يستطيع التمييز بين رسوم شبابه عن رسوم شيخوخته، أما رفاييل فهو النموذج الذي تطور بالتدرج في فنه، فالفرق بينهما أن دافنشي كان يمثل الفطرة العبقرية، أما رفاييل فكان يمثل الدراسة المنهجية التي تبلغ بصاحبها درجة الكمال. ()

وتظهر النزعة الانسانية في كل هذه الأعمال الفنية التصويرية في كون الفنانين الإيطاليين قاموا بمناقشة القضايا الدينية في قالب إنساني دنيوي، وكان هدفهم الإنساني الأسمى إبراز الابداع الفني ليأتي بعد ذلك البعد الديني وأظهروا براعة في توزيع الألوان والأصباغ. ()

أما النحت فكان يحمل نزعة إنسانية تمثلت في تمجيد الإنسان والطبيعة، فتحرر من القيود القديمة()، وتميز با لابداع وتأثر بالفن الروماني واليوناني، ومن أبرز النحات " دوناتللو " (1386-1466م) حاكى الأنظمة الكلا سيكية وركز على جمال الطبيعة وحيويتها، لأنه وجد أن الطبيعة تساعد على إبراز القيمة الفنية والجمالية للنماذج القديمة، لذلك اعتبر من مؤسسي المدرسة الطبيعية في النحت()، كذلك نجد " ميشيل أنجلو " (1475-1564م) عبر في نحته عن روح العصر()، درس النماذج الفنية القديمة دراسة دقيقة وأبدع في نحت الأجسام القوية الضخمة() من أهم آثاره: تمثال الشفقة في كنيسة القديس بطرس بروما، وتمثال النبي موسى الموجود في أحد كنائس روما، متناسق وفائق الجمال، تبرز فيه جمال اللحية وطولها والعضلات وقبضة اليد ولفتة رأسه وملامح وجهه والقوة والانفعال. ()

فميشيل انجلو كان معجبا بجمال جسم الإنسان أكثر من جسم المرأة، وهي ميزة الفن اليوناني لذلك جاءت أعماله الفنية بالغة الدقة في إبراز كمال جسم الإنسان()، وهو صاحب المنحوتة الرخامية الشهيرة والرائعة التي تصور العذراء والطفل. ()

وفي مجال العمران ظهرت في إيطاليا نزعة إنسانية تميل إلى البناء الكلاسيكي الذي يمتاز بالأعمدة والجمال وا لأقواس()، والعقود نصف دائرية (الفن الروماني) واستخدام السقوف المسطحة والكرانيش التي تعلو النوافذ والأبواب (المباني الرومانية واليونانية)، وتميز كذلك بالتناظر والتناسق والانسجام، غير أنه لم يكن ذا طابع تجديدي لأنه كان محاكاة للفن الكلاسيكي()، ومن أبرز المعماريين " برنيلسكو " (1377-1446م)، بنا القبة التي هي فوق كاتدرائية فلورنسا. ()

وما يلاحظ على إحياء الإيطاليين للآداب والفنون القديمة هو تقليد الثقافة اليونانية والرومانية في هذا المجال، إذ لم يستطيعو أن يصبغوها بطابع إيطالي خاص، كما حدث في ألمانيا وفرنسا وللتوضيح أكثر فإن الإ يطاليين قلدوا اليونان والرومان في عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم وفي تراكيبهم الأدبية والفنية، وحتى نهضتهم كانت وثنية لم تتجه نحو إحياء المسيحية، إذ لم نجد في إيطاليا حركات للاصلاح الديني()، ويفسر هذا بحكم أن إيطاليا كانت أكثر قربا للحضارة اللاتينية (لغة وتاريخا) جعلها مرتبطة بهذه الحضارة أكثر من أية دولة أوروبية أخرى، وكون روما كانت مركز البابوية ومقر الكنيسة الكاثوليكية التي حاربت بشدة أي اتجاه فكري يعارضها.

3-2 في ألمانيا:

اتجهت النزعة الانسانية في ألمانيا الى الاصلاح الديني بالاعتماد على دراسة الكتاب المقدس من أصله اليوناني. ()وكان من الأوائل الذين قادوا هذه العملية " حناروخلن "(1455-1522م)، درس اليونانية والعبرية وأعطى أهمية للعبرية، ألف لهذا الغرض قاموسا بهذه اللغة()، شرح الكتاب المقدس والديانة المسيحية وأظهر نزعة إنسانية واضحة نحو تحرير العقل الأوروبي من هيمنة الكنيسة. ()

وقد كان لظهور الطباعة أثره على ألمانيا في تعزيز النزعة الإنسانية المعارضة للكنيسة، فقد أدت إلى انتشار الدراسات الإنسانية فزادت القراءة والاطلاع على حقيقة الدين المسيحي وزاد اهتمام الناس بالدين وظهر النقد والنقاش حول المسائل الدينية. ()

وكان من أبرز الذين خاضوا هذه المرحلة الجديدة المصلح " مارتن لوثر " (1483-1546م) اشتهر بأفكاره المتعلقة بتحرير الفكر الإنساني من هيمنة الكنيسة وإنهاء نفوذها الروحي والسياسي درس القانون واللاهوت وترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية المحلية، فاطلع عليه الشعب وأعلن مباديء الاصلاح الديني، التي تحولت الى مذهب ديني جديد فرض وجوده، بعد الثورة الشهيرة التي خاضها ضد الكنيسة. ()

وبذلك فإن حركة مارتن لوثر كما يقول أحد الباحثين سارت في نزعتها الإنسانية باتجاه التمرد على السلطة التقليدية للكنيسة من خلال دعوتها إلى الحرية المسيحية وإلغاء الرقابة الكهنوتية على العقيدة وإقامة الأخلاق على الوجدان، وإعطاء قيمة للإيمان الشخصي الداخلي، عوض التركيز على المظاهر الخارجية للدين، والتخلي على الوصاية الكهنوتية على السلطة السياسية وفصل الدين عن العلم()، وهي في الحقيقة دعوة للاعتراف بدور العقل الانساني ومكانته في البحث الحر، وزعزعت الأستاذية العقائدية التي كانت تمارسها الكنيسة، فجاء على إثر ذلك رفض فكرة التوسط بين الله والإنسان، والتشكيك في سلطة الكنيسة الكهنوتية وممارساتها الطقوسية()، باختصار أرادت حركة الاصلاح الديني اللوثرية أن تنقذ الإنسان الأوربي وتفكيره من عبودية وخرافات الكنيسة، وهذا محور نزعتها الإنسانية.

كذلك من مظاهر النزعة الإنسانية في ألمانيا إقبال الألمان على الدراسات العلمية، ساعد على ذلك انتشار الجامعات (كانت ألمانيا تملك ثماني جامعات خلال القرن الخامس عشر) وكذلك اختراع الطباعة التي ساهمت في انتقال وانتشار المعلومات العلمية داخل ألمانيا وخارجها()، ومن أهم زعماء النزعة الانسانية العلمية نجد يوحنا مولر (1356-1463م)، له أبحاث علمية في الفلك والجغرافيا، وضع حسابات نظرية وبحرية وفلكية أفادت في عملية الكشوفات الجغرافية. ()

ويلاحظ أن النزعة الإنسانية الفنية كانت ضعيفة في ألمانيا مقارنة بالانجازات الدينية والعلمية وما وجد من فن فقد كان في العمارة (بناء الكنائس) والنقش، والحفر على الحجر والخشب والبرونز، وفن الموسيقى. ()

3-3 في فرنسا:

شجع ملوك فرنسا الحركة الإنسانية في جانبها العلمي والقانوني والثقافي والفني، لهذا الغرض أنشأ الملك فرانسوا الأول (1494-1540م) كلية فرنسا (College de France) ()، سنة 1530م وغدت هذه الكلية من أعرق الكليات في أوربا، تدرس إلى جانب الأدب والعلوم الانسانية الرياضيات والجغرافيا والطب. ()

وكان من أبرز أعلام النزعة الإنسانية العلمية في فرنسا " رابليه " (1483-1553م) كان عالما بالطب والتشريح،

أول من شرح جثة إنسان مخالفا بذلك تعاليم الكنيسة. والمهندس " بيير ليسكو " (1510-1578م) الذي تخصص في الحفر وفن العمارة، قام بتصميم وبناء عمارة اللوفر. ()

وقد شغف الفرنسيون بدراسة القانون الروماني القديم() حللوا القوانين الرومانية تحليلا دقيقا، وعرضوها في شكل جديد بالأسلوب والذوق الفرنسي (عكس الايطاليين الذين قلدوا التراث القديم)، ومن رواد هذه العملية جاك كوجاز وبريسون() ودوليه (1446-1509م). ()

وفي جانب إحياء الدراسات الإنسانية بصفة عامة، فقد شهدت حركية خاصة بعد وصول العلماء الايطاليين إلى فرنسا الذين حاضروا بجامعاتها باليونانية واللاتينية والعبرية() كالعالم الايطالي " تفرناس " الذي كان مدرسا للغة اليونانية بجامعة باريس، وهي الجامعة التي حاضر فيها " لاسكارس " ودرس بها كذلك اليونانية، وكذلك العلم الايطالي " الييندر" الذي حاضر باليونانية واللاتينية والعبرية، وأصبح بعد ذلك مديرا لجامعة باريس، وقد توجت هذه الجهود بظهور حركة إنسانية واسعة في فرنسا لنشر الكتب اليونانية، فأنشئت المطابع، وشجع ملوك فرنسا هذه الحركة بالأموال وبما أحيوا من تقاليد في بلاطاتهم تعود إلى النهضة الايطالية، وفضلا عن ذلك فقد أنشأوا مراكز مختصة بالدراسات الإنسانية أشهرها الكلية الملكية التي أقامها فرانسوا الأول (1530 م).()

وقد ظهر في فرنسا اتجاه إنساني مهتم بالأدب واللغات القديمة، مثل " فرانسوا رابليه "() الذي كان من أشهر كتاب ومؤلفي عصر النهضة الأوربية الأدبية في فرنسا، تميز بنقده اللاذع والفكاهي الذي حرره باللغة الفرنسية()، كانت له ابداعات أدبية في مجال الروايات الفكاهية، تميزت بأسلوب ممتع وموعظة بليغة. ()

ومن علماء اللغات نجد " بوديه " المختص في اللغة اليونانية()، وقد شجع الملوك في فرنسا تدريس اللغات القديمة، مثل الملك فرانسوا الاول الذي شجع " جوديم بوديه " على تدريس اللغات القديمة وأنشأ كلية فرنسا لهذا الغرض، إذ غدت تدرس الى جانب الفلسفة والعلوم اللغة اليونانية واللاتينية والعبرية. ()

وكانت النزعة الانسانية الفنية متميزة، إذ تفوق الفرنسيون في فن العمارة، التي لم تقتصر على بناء الكنائس و الكاتدرائيات كما كانت في إيطاليا وإنما تعداه الى تشييد المباني العامة كمجالس البلديات والقصور، وظهرت نماذج معمارية رائعة في البناء والجمال. ()

3-4 في انجلترا:

يلاحظ على النهضة الانجليزية اهتمامها الكبير بإحياء الدراسات الانسانية، فقد كان العلماء الانجليز الإنسانيين وكذلك الطلبة() زاروا المدن الايطالية، ثم عادوا إلى انجلترا وألقوا الدروس والمحاضرات() بجامعة اكسفورد التي جعلوها مركزا لنشاطهم العلمي، حتى أطلق عليهم " مصلحو اكسفورد " ركزوا على الدراسات الأدبية القديمة، ونادوا بتحرير الفكر الأوربي من القيود التي فرضتها الكنيسة على حرية البحث العلمي، ومن أعلام هذه الحركة " توماس كوليت " الذي أدخل اللغة اللاتينية في جامعة اكسفورد، و " توماس مور " صاحب كتاب " ايتوبيا "، وتشجيعا لهذه الحركة أنشأ الملك هنري الثامن عام 1541م خمسة كراسي أستاذية في جامعة كامبردج للغة اليونانية والعبرية واللاهوت والقانون المدني والطبيعة()، ثم أدخلت اللغتين اليونانية واللاتينية القديمة في مناهج الدراسة.()

وقد تم التركيز على إحياء الدراسات الانسانية الادبية القديمة وبرزت تراجم لأعلام الأدب الايطالي في عصر النهضة() وتحول الأدباء والشعراء للكتابة باللغة الانجليزية، وقد لقيت هذه العملية نجاحا لافتا بعد بروز نماذج أعمال أدبية رائعة، أهمها أعمال وليام شكسبير (1564-1616م) وجون ملتون (1608-1774م). ()

في جانب آخر اتجهت النزعة الانسانية في انجلترا نحو إحياء المسيحية من خلال أعمال مفكرين، كانوا من الأ وائل الذين نبهوا أوربا إلى مفاسد الكنيسة وضرورة إصلاحها؛ أبرزهم " جون ويكليف " (1330-1384م) الأ ستاذ بجامعة اكسفورد، كانت أفكاره المتعلقة بإصلاح العقيدة المسيحية (عدم أهلية البابا في الوساطة و المغفرة) القاعدة التي أقام عليها لوثر فكره الديني بألمانيا للثورة ضد الكنيسة في القرن السادس عشر ميلادي وكذلك القاعدة التي بنت عليها بريطانيا نهضتها الدينية، قد التقت جماعة من المثقفين الانجليز حول هذه الأ فكار أطلق عليهم اسم " اللورديين "() وأدت كذلك إلى ظهور مفكرين بارزين لعبوا دورا في الاصلاح الديني

مثل " إراسموس " (1467-1536م) الذي كان مولعا بالدراسات الانسانية الدينية نشر النسخة الاغريقية الأصل وترجمها إلى اللاتينية، عرف بالمسيحية وببساطتها، وفضح أعمال رجال الدين، وكان يرى في التعليم أشرف مهنة وأرفعها، من أشهر كتبه " تقريظ الجهالة "، " الأمثال "، " الأحاديث " جميعها تتحدث بالسخرية والتهكم عن الأوضاع الفاسدة، خاصة ما يقوم به رجال الدين()، فكان إراسموس كما يقول أحد الباحثين يحاول أن يجعل من الإنسان مركز العالم ويعيد بناء العقيدة المسيحية على أساس إنساني خالص ويضع برنامجا للتعليم المسيحي كمواطن عصري مستنير، وهب حياته للإصلاح الكنسي فأسس بأعماله مذهبا إنسانيا في الاصلاح الديني عن طريق التعليم والارشاد وعدم التعصب، كما لعب دورا في تمجيد وتقديس الفلاسفة والمفكرين القدامى داعيا الى ضرورة إحياء التراث الفكري اليوناني والروماني القديم. ()

وفي ميزة فريدة سوى " إراسموس " بين الفلسفة واللاهوت كوسيلتين للمعرفة فطالب بالرجوع إلى الأصول بدراسة المصادر القديمة وفي الوقت نفسه ركز على حرية الإنسان، فأعاد بذلك بناء العقيدة المسيحية على أساس إنساني خالص، بمعنى أراد أن يصالح بين العلم (الفلسفة اليونانية) والمسيحية دون أن يخلط بينهما، هذا جعل المفكرين يعتبرونه من مؤسسي التيار الإنساني المسيحي.()

وتتميز النزعة الانسانية في بريطانيا باتجاهها نحو إطلاق العنان للبحث وتطوير العلوم باتباع منهج البحث العلمي والطريقة التجريبية، هذا المنهج الذي دشنه " روجربيكون " وطوره " فرنسيس بيكون "، يعتبران من مؤسسي المدرسة العلمية في إنجلترا. ()

3-5 في شبه الجزيرة الايبرية:

كانت المظاهر النهضوية الإنسانية ضعيفة في إسبانيا والبرتغال وهذا لانتقامهما الصليبي من العرب وحضارتهم وخطورة محاكم التفتيش ومقاومة السياسيين لها وعدم انتشارها في جميع طبقات المجتمع() وما وجد من مظاهر، فقد انحصرت في النزعة الانسانية المتعلقة بالرغبة في الاستكشاف وبروز روح المخاطرة والبحث في المجهول()، جعل البرتغال تجلب خبراء الرياضيات والفلك والملاحة البحرية والطب والصيدلة، وظهرت العمارة نتيجة أرباح تجارة التوابل() وظهر أدب الرحلات، كما تأثرت إسبانيا بالنزعة الايطالية، خاصة في مجال الأدب والشعر، وتعد رواية " دون كيشوت " للكاتب " ميغيل دي سرفنتس " أول رواية غربية، كانت باللغة الإسبانية تعبيرا عن اتجاه الأدب الإسباني نحو النزعة القومية، باستعمال اللغة المحلية عوض اللغة اللاتينية التي كانت اللغة العامة لأوربا.()

خلاصة:

في الأخير، مقارنة بين مختلف الدول الأوربية التي ظهرت فيها الحركة الانسانية، نلاحظ بأن إيطاليا كانت أكثر اتجاها نحو إحياء الدراسات الإنسانية وجمع المخطوطات والآثار القديمة، فقد كانت إيطاليا الرائدة و المعلم في هذه العملية بحكم الموقع والتاريخ والأسبقية، إلا أن النزعة الانسانية في إيطاليا لم تتجه إلى الاص لاح الديني كما حدث في ألمانيا وإنجلترا ومقارنة بإيطاليا فإن الفرنسيين مزجوا بين القديم وبين التراث الفرنسي فظهر نمط فرنسي يختلف عن الايطاليين في مجال الأدب والعمارة والنحت، وقد أخذ الفرنسيون ما أرادوا وصبغوا كل ما أخذوه بطابعهم الخاص، حيث كانوا يضيفون عليه تفكيرهم ومزاجهم، وهذا ما جعل الحركة الانسانية في فرنسا تختلف عن إيطاليا لكون الأخيرة ارتبطت بالتقليد للكتابات القديمة الاغريقية و الرومانية، أما الفرنسيين فقد مزجوا بين القديم والحديث.

ومهما كان الأمر فإن الحركة الإنسانية كما قال أحد الباحثين أدت إلى " ثورة على الأخلاق المسيحية الكنسية فحل محل المحبة الفرح بامتلاك الإنسان لقواه واستخدامه لها، وحلت الحرية والمسؤولية محل الخضوع لا

إرادة الله، كما صورتها الكنيسة، كما حل البحث الجريء اليقظ محل الايمان وأصبح الإنسان بخلاف سائر المخلوقات الموجود الذي يحدد طبيعته بامتلاكه لإرادته الحرة وثقته بنفسه "()، فحدثت نهضة في الأدب و الفنون، بل أدت النزعة الإنسانية في مجالها العلمي إلى تحول نوعي في مناهج البحث العلمي بالاعتماد على التجربة والاستقراء لكشف الحقائق، تم على إثرها تطوير العلوم وإحداث قطيعة شبه كاملة مع العصور الوسطى. ()

الاصلاح الديني:

تمهيد:

تعرضت الديانة المسيحية (المحرفة) إلى هزات ناتجة عن ضعف بين في هذه العقيدة، وهذا منذ العصر الوسيط عندما وقع الاختلاف حول طبيعة المسيح: اتجاه يرى بأنه بشر مخلوق وهو مشابه لله فقط (أتباع أريوس)، واتجاه ذهب إلى أنه يشبه الله فقط ويماثله في كل الصفات (أتباع أثاسيوس) كما ظهرت حركات دينية إلحادية؛ كحركة الألبيجنسية التي تعتقد بوجود قوتين متنافستين: قوة الخير وقوة الشر، نافية وجود الله، قضت عليها الكنيسة، ومع عصر النهضة الاوروبية طرأت متغيرات جديدة أدت إلى قيام الاصلاحات الدينية الكبرى، وهي الاصلاحات التي أدت إلى إندلاع الثورة ضد الكنيسة، فما مضمون هذه الاصلاحات؟ وكيف تحولت إلى ثورة ضد الكنيسة؟ وما مدى نجاحها في إنهاء وصاية البابوية على العالم المسيحي فكريا وسياسيا وروحيا؟

1 - مفهوم الاصلاح الديني:

هو محاولة الرجوع بالمسيحية إلى تعاليمها الأولى ومحاربة مظاهر الفساد وسط رجالاتها والتي دامت طيلة حقبة طويلة خلال العصر الوسيط()، وقد تميزت هذه الحركة بالعنف خلال القرن السادس عشر ميلادي وأدت إلى ظهور المذاهب الدينية.

2- إرهاصات الاصلاح الديني في أوروبا:

ظهرت بوادر الفكر الاصلاحي الديني في أوروبا على يد مجموعة من المفكرين أبرزهم جون ويكليف (1320-1384م) في بوهيميا وحنا روخلن (1455-1522م) في ألمانيا، تلخصت مجموعة أفكارهم في الدعوة إلى تحرير الفكر الأوروبي من خرافات الكنيسة والقضاء على مفاسدها والرجوع بالمسيحية إلى ينابيعها الأولى، وإلغاء صكوك الغفران، وقد طالب بعض هؤلاء كذلك الاحتكام إلى الكتاب المقدس في القضايا الدينية وعدم تدخل البابا في الشؤون السياسية، ورفضوا استئثار الكنيسة بالأموال والامتيازات، قام بعض هؤ لاء بنشر النسخة الأصلية للكتاب المقدس من اللغة اليونانية وشرحها لكشف تحريفات رجال الدين، وقد كون كل من هس و ويكليف كتلة معادية للكنيسة في بوهيميا وانجلترا وساهم إراسموس بشكل سلمي في إطلاع الأوروبيين على خرافات الكنيسة عندما نشر العهد الجديد بمختلف اللغات الأوربية وهو تقريبا نفس العمل الذي قام به روخلن في ألمانيا عندما استعان باللغة العبرية في تفسير العهد القديم من الكتاب المقدس، رغم أن هذين الأخيرين لم يطالبا بالخروج عن الكنيسة الكاثوليكية.()

ويلاحظ على هؤلاء المصلحين بإنه ورغم سخطهم على الكنيسة فإنهم لم يثورو عليها، رغم أفكارهم التي كانت تعتبر جد متطرفة ومتقدمة بالنسبة للفترة التي كانوا يتواجدون فيها، هذه الأفكار ستكون أرضية لمفكرين لاحقين (مثل مارتن لوثر، وجون كالفن، وزونجلي) ليقيموا عليها إصلاحاتهم الدينية في إطار المواجهة المباشرة التي خاضوها ضد الكنيسة.

3- الاصلاحات الدينية الكبرى (ثورة مارتن لوثر):

3-1 نشأة لوثر وأفكاره الاصلاحية:

ولد مارتن لوثر بسكسونيا بألمانيا (1483-1546م) من أبوين فقيرين، تعلم اللغة اللاتينية والأصول الدينية الكاثوليكية، اتجه إلى دراسة الحقوق (جامعة أرفوت 1501م)، كان لوثر معقدا نفسيا، فقد ظل ضميره يؤنبه()، فتشكلت عنده عقدة بالذنب()، فقرر ترك دراسة القانون والاتجاه إلى الدراسات الدينية في سنة 1571م زار روما واطلع بنفسه على الخرافات الكنسية الكاثوليكية، أين عثر على وثيقة " عقيدة التبرير بالا يمان " تقول في نصها " أما البار فبالايمان يحيا " فتخلص من حيرته وتأكد من خرافة الوساطة.()

واخذ يبني مذهبه الجديد على قاعدة " التبرير بالايمان " مستخلصا منها بأن الايمان هو السبيل الوحيد للنجاة من الذنوب لا وساطة البابا، فالتوبة والاخلاص دليل للمغفرة والصلاة والعبادات ليس للنجاة من الذنوب وإنما للحمد والشكر لله وهو مضمون " عقيدة التبرير بالايمان ".()

3-2 مباديء الاصلاح الديني عند لوثر:

الايمان بالله وحده هو السبيل للخلاص من الذنوب، أي إعطاء قيمة للايمان الشخصي الداخلي عوض التركيز على المظاهر الخارجية للدين()، بمعنى رفض فكرة التوسط بين الله والانسان والتشكيك في سلطة الكنيسة الدينية وممارستها الطقوسية. ()

إلغاء الوصاية الدينية (الكنيسة) على السلطة السياسية أي اتباع النظام العلماني (فصل الدين عن الدولة) إلى جانب فصل الدين عن العلم()، أي الاعتراف بدور العقل الإنساني ومكانته في البحث الحر() وهو ما يفسر دعوة لوثر إلى عدم اختصاص البابا وحده في تفسير الإنجيل.()

المساواة بين المسيحيين وإلغاء امتيازات رجال الدين، إلى جانب حرية الفرد المسيحي وضرورة الاهتمام به واصلاحه كونه هو نواة المجتمع الذي يصلح بصلاح هذا الفرد. ()

3-3 العوامل المساعدة على اندلاع الثورة اللوثرية:

من أهم العوامل التي ساعدت على تحول أفكار مارتن لوثر إلى أول ثورة عارمة ضد الكنيسة هو نمو الوعي خ لال عصر النهضة وأخطاء الكنيسة التي زادت عن حدها، فقد انغمس رجال الدين في الملذات وعاشوا حياة البذخ والترف والمجون، ثم وصلت هذه الانحرافات إلى كسب المال بغطاء ديني، فكانت صكوك الغفران كوسيلة ابتكرتها الكنيسة لتحقيق هذا الغرض حتى أنها أصبحت تباع في البنوك، هذا كله حفز حكام الإمارات في ألمانيا مساندة حركة مارتن لوثر وذلك للتخلص من سيطرة الكنيسة، لبسط سلكانهم على أراضيها الواسعة. ()

كما أيد الفلاحون والطبقة الوسطى الثورة اللوثرية فالفلاحيين كانت ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية و السياسية سيئة أما طبقة الفرسان فقد فقدوا امتيازاتهم فوجدوا في الثورة فرصة لاسترجاع نفوذهم، لذلك قاموا بعمليات نهب لأملاك الكنيسة خلال الثورة. ()

يضاف إلى ذلك شخصية مارتن لوثر العلمية والاصلاحية المؤثرة، فقد كان يمتاز باللباقة في المناقشة والتأثير على المستمعين عند إلقاء الخطب المثيرة والمقنعة والحجج والبراهين التي يقدمها عند إثبات زيف صكوك الغفران والتحدي والصلابة التي أظهرها عند نشر أفكاره وعرضها لذلك كان محل وإعجاب لدى كثير من المفكرين أمثال "ملانكتون "وبعض أساتذة الجامعات، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نشر أفكار لوثر وتدريسها. ()

3-4 إندلاع الثورة ضد الكنيسة في ألمانيا ونتائجها:

استغل مارتن لوثر كل العوامل الدينية والدوافع السياسية والاقتصادية وسخرها لنجاح حركته حيث استمال بأفكاره الفلاح والعامل والاقطاعي والأمير وحتى رجل الدين، ومن حسن حظ لوثر أن الفترة التي ظهرت فيها ثورته كانت فترة إضطرابات تمثل في غضب الطبقة الوسطى التي فقدت مركزها الاجتماعي بعد ضعف مركزها الاقتصادي وغضب الفرسان الذين فقدوا مكانتهم بعد تراجع الاقطاع وغضب الامراء نتيجة هيمنة الكنيسة على موارد الأرض التي حرموا منها في إماراتهم وتذمر طبقة الفلاحين نتيجة أوضاعهم المزرية (الاقطاع).

وهكذا فإن ثورة مارتن لوثر استفادت من دعم كل هذه الفئات، غير أنه تخلى بعد ذلك عن الفلاحين والفرسان (فسر ذلك بأن دوافعهم اجتماعية واقتصادية وليست دينية)، وبقي متحالفا مع أمير سكسونيا هذا الأخير أصدر أمرا بمنع صكوك الغفران في ولايته، ورفض دعوة البابا للقبض على لوثر، وهو ما شجعه على مواصلة حركته الاصلاحية فقام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية لغة الشعب البسيطة، فأطلع الناس عليه وزاد أتباعه، وعندما لاحظ الامبراطور شارل الخامس تفاقم الثورة والخلافات الدينية عقد مجلسا إمبراطوريا (1529م) قرر فيه الدعوة إلى الحد من سلطة البابا وعدم إغضاب اللوثرية لكن دون السماح لحكام الامارات إختيار مذهب ديني جديد، وقد أثارت هذه القرارات غضب الحركة اللوثرية التي أعلنت أنها لا تعترف بها ووقع على عريضة الاحتجاج خمسة أمراء وأربعة عشر حاكما من حكام المدن الألمانية، أطلق فيما بعد على هؤلاء اسم " المحتجين البروتستانت".()

وبذلك فإن كثيرا من أمراء المقاطعات الألمانية انظموا إلى الحركة اللوثرية التي اتخذت اسم " يحتج" لأن اللوثريين أعلنوا احتجاجهم على قرارات المجمع الامبراطوري (1529م)، وسرعان ما عادت الاحتجاجات، وفي عام 1546م توفي لوثر وشهدت ألمانيا مواجهات مسلحة بين القوات الامبراطورية والقوات البروتستانتية وقد انهزم البروتستانت، إلا أنه سرعان ما طلب الأمراء الألمان المساعدة من ملك فرنسا، فوصلت المساعدة وانتصروا ففر الامبراطور شارل الخامس إلى اسبانيا تاركا أخاه فرديناند لتسوية الخلاف ونجح في عقد اتفاق بين الطرفين تمثل في صلح أوجزبرج (1555م)، نص على:

حق كل إمارة اختيار المذهب أو العقيدة الدينية ولكل حاكم الحق في اختيار المذهب في اقليمه.

تحريم العنف ضد أية ولاية اعتنقت المذهب اللوثري وكذلك بالنسبة للولايات التي بقيت على ولائها للكنيسة ومعتنقة للمذهب الكاثوليكي.

من حق أي فرد لا يرضيه المذهب الموجود في الإمارة مغادرتها إلى الإمارة الأخرى بما يتوافق ومذهبه.

فيما يخص أملاك الكنيسة تبقى في يد حكامها اللوثريين التي تحولت إلى اللوثرية قبل 1552م، أما بعد هذا العام فتعود الأملاك إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما.

يخول للأساقفة الحق في اختيار المذهب الديني الذي لا يريدونه وكل أسقف لا يتحول الى المذهب البروتستانتي لا بد أن يترك أسقفيته ويفقد وظائفه الدينية وفي هذه الحالة يتم انتخاب أسقف كاثوليكي آخر يتولى مهمة وتسيير إيرادات وأملاك الكنيسة.()

وبذلك أرسى هذا الصلح التسامح الديني ومبدأ الحرية للفرد (الدينية)، ويلاحظ على هذا الصلح أنه لم يعترف إلا بمذهب واحد خارج الكنيسة وهو البروتستانتي اللوثري، وتجاهل أنصار زونجلي في سويسرا وكالفن في. وما يلاحظ كذلك أن هذا الصلح لم يكن يملك سلطة تنفيذية جبرية ترجع للكنيسة أملاكها المنتزعة بعد عام 1552م من طرف البروتستانتيين، الذين لم يلتزمو حرفيا بما جاء في القرار وهو ما أدى إلى عودة الصراع الديني (حروب الثلاثين عاما 1618-1648م)، وقد أدى هذا الصلح كذلك إلى انقسام ألمانيا دينيا وهزيمة للبابوية والكنيسة التي فقد نصف ألمانيا.

3-5 انتشار حركة الاصلاح الديني في أوربا:

بعد صلح أوجزيبرج (1555م) استقرت اللوثرية في شمال ألمانيا ومناطق أخرى في جنوبها، كما انتشرت في الدنمارك والسويد وعديد من المقاطعات السويسرية، إضافة إلى هولندا، انجلترا، اسكتلندا أما الكاثوليكية فسادت في كل من النمسا وإقليم الراين، فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، بلجيكا، وهناك أسباب جعلت اللوثرية لا تنتشر في كل أوروبا أهمها: عدم القدرة على فهم المذهب البروتستانتي اللوثري خاصة في مسائل القربان والتبرير با لايمان، وكذلك اعتماد لوثر على الأمراء دون الطبقات الأخرى، وعدم اهتمامه بتعريف المذهب الجديد، كما رفض مارتن لوثر الاعتماد على القوة في نشر مذهبه أدى إلى ظهور دعوات إصلاحية أخرى تدعوا إلى الاصلاح بالعنف والقوة في نشر المذاهب الجديدة التي نهلت من حركة مارتن لوثر معظم أفكارها (اختلفت معها في الوسيلة)، مثل مذهب ألريك زونجلي الذي ساد في سويسرا وجنوب ألمانيا، ومذهب جون كالفن الذي انتشر في أوربا الوسطى والغربية وبالأخص فرنسا والأراضي المنخفضة واسكندناوة وكذلك سويسرا. ()

3-6 انتشار المذاهب البروتستانتية:

- المذهب الزونجلي في سويسرا:

ظهرت حركة زونجلي (1484-1521م) في زيوريخ، نهج فيها نهج مارتن لوثر في رفض صكوك الغفران ومفاسد الكنيسة، وقد انتشرت حركته في ست مقاطعات سويسرية وبلغت حتى المدن في جنوب ألمانيا، قتل زونجلي في معركة (كابل 1531م) وعقد الصلح في نفس السنة بين الكاثوليك والمقاطعات البروتستانتية، تقرر فيه الاعتراف بحق هذه المقاطعات في إقامة المذهب الجديد. ()

- المذهب الكالفني في جنيف وفرنسا وباقي الأقطار الأوربية:

ولد كالفن في فرنسا (1509م)، درس فيها واضطر مغادرتها نحو جنيف، اتفق في أفكاره مع حركة لوثر في الا عتماد على الكتاب المقدس وحده في التفسير، واختلف مع زونجلي في مسألة إتحاد الدولة والكنيسة، ورأى أن الكنيسة لابد لها من إدارة خاصة تختلف عن الادارة العلمانية للدولة، ولها جانب روحي لا يحق للطرفين أن يتدخل في الطرف الآخر، وتمكن كالفن من نشر مذهبه الاصلاحي في جنيف وزادت شهرتها بإنشاء جامعتها (1559م) وأصبحت مركزا لتعليم وتكوين الدعاة البروتستانت.()

أما فرنسا فقد انتشرت فيها البروتستانتية بفضل نشاط كالفن وكتابه " تعاليم الدين المسيحي " وانظم إلى حركته بعض الأشراف والطبقة المتوسطة، وهكذا ظهرت أول كنيسة كالفينية في فرنسا عام 1555م وظهرت حروب دينية بين الأسر المالكة بين (1562-1593م) كأسرة الهجونت الموالية لكالفن وأسرة جيزا الموالية للكاثوليك، وتدخلت إسبانيا لمساندة الكاثوليك وإنجلترا لمساندة البروتستانت، ووقعت مذابح مذهلة ضد الهجونت، وبقي الصراع إلى أن أصدرت الملكية الفرنسية مرسوما في عهد هنري الرابع 1598م أنهى الصراع الديني واجاز للبروتستانت القيام بشعائرهم الدينية في خمس وعشرين مدينة ولهم الحق في تولي المناصب العسكرية والمدنية مساواة مع الكاثوليك() وأنشئت لهم محكمة قضائية، وسمح لهم بعقد مجلس ليدرس شؤونهم، وكان مرسوم نانت (1598م) الذي صادق على هذه القرارات مرسوما تاريخيا حضاريا جعل لأول مرة ونظم لكل طائفة دينية دستورها ونظامها في إطار التسامح الديني الذي كان جزءا من القانون الدستوري الفرنسي قبل أن يكون ذلك في إنجلترا وألمانيا بوقت طويل. ()

ومنذ ذلك انتعشت الكالفينية وتطورت الحياة الملكية في فرنسا، وانتعشت الكاثوليكية بفضل تحدي عقيدة الهجونت لها ووجودها معها كمنافس، وبظهور الحروب الدينية الكبرى في أوربا حصن الهجونت مدنهم وأوجدوا بها حكومات من نوع حكومة جنيف وأصبحوا يشكلون دولة داخل دولة في عهد الملك لوي الثالث (1610-1643م) فتصدى لهم، وتمكن الوزير الفرنسي المحنك ريشيليه (1624-1643م) من محاصرتهم وهزمهم –رغم مساعدة الإنجليز- وعقدوا صلحا مع الملكية في آليه (نوفمبر 1668م) تبخر فيه الهجونت

كحزب سياسي وفقدوا امتيازاتهم السياسية، بينما حفظ لهم هذا الصلح حرية العقيدة وممارسة شعائرهم الدينية والمساواة أمام الكاثوليك، كالتعيين في الوظائف العامة والجيش والقضاء فاطمأنوا لوضعهم الذي كان بفضل حنكة ريشيليه. ()

ويلاحظ على مذهب كالفن أنه كان أكثر المذاهب انتشارا أدى إلى وجود الكنيسة البروتستانتية في فرنسا وظهور جمهورية هولندا بعد كفاح مرير خاضه البروتستانت ضد إسبانيا توج باستقلال هولندا عن الملكية الا سبانية الكاثوليكية()، كذلك أصبح هذا المذهب الديانة الرسمية في اسكتلندا، وانتشر في شرق سويسرا، وفي المجر وإنجلترا، ويفسر قوة ورواج المذهب الكالفيني كون تعاليمه صريحة تنادي بالنضال ضد معارضيه، وأقام نظاما محكما للكنيسة، إذ عمل على تدعيمها وتقويتها جعلها تصمد في وجه الكاثوليكية. ()

- نظام الكنيسة الانجليكاني في إنجلترا:

قرر الملك هنري الثامن (1509-1547م) العمل بخطة فصل انجلترا عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، لتكون وطنية أهلية، يكون الملك رئيسها بمساعدة البرلمان، وهذا سبب رفض البابا طلاق الملك هنري من كاترين، حيث أراد ولدا يرث العرش لم يحصل عليه من كاترين ووقع في غرام إحدى سيدات البلاط وهي آن بولين، فرفضت إسبانيا (الكاثوليكية) هذا الطلاق وضغطت على الامبراطور (كانت كاترين عمة الامبراطور) فأراد الملك هنري التخلص من هيمنة الكنيسة ويتزوج من آن بولين هذا إضافة إلى أن الرأي العام كان يؤيد الملك في توطيد الحكم، وقد تعمد إدخال المؤسسات السياسية في هذا الفصل (أعضاء مجلس اللوردات وأعضاء مجلس العموم) ودعا هنري البرلمان لمساعدته ضد البابا (1529م)، وقد بقي البرلمان منعقدا سبع سنوات، أصدر قوانين جعلت الكنيسة الانجليزية مستقلة عن روما، خاضغة للملكية الابريطانية()، وقد حاول الكاثوليك الاستعانة باسبانيا فأرسلت أسطولا لغزو انجلترا غير أنه تحطم (1588م) وكان ذلك فتحا للشعب الانجليزي الذي ثبت النظام الانجليكاني ثم اتجه إلى السلطة الملكية والدعوة لحكم البرلمان. ()

بعد ذلك أصدر التاج البريطاني قوانين بمصادرة أملاك الكنيسة فظهرت بريطانيا كقوة اقتصادية وعسكرية ... واستمرت عملية الاستيلاء على أملاك الكنيسة وبيع أرضها للملاك والزراعيين إلى غاية القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين حتى غدت معظم الأراضي الزراعية في يد الأعيان من الأقاليم. ()

لقد قضى الملك هنري على المعارضة الكاثوليكية ضد سياسته، وفي عهد إدوارد السادس (1547-1553م) تطورت حركة الاصلاح الديني في انجلترا، إذ أحاط البروتستانت بالملك الجديد الصغير، فتم مصادرة أملاك الكنيسة ونشر المذهب البروتستانتي،() وتم إصدار كتاب الصلوات باللغة الانجليزية، هذا الكتاب طبع الكنيسة بطابع قومي، وكانت هذه ميزة إيجابية لبريطانيا تميز فيها الاصلاح بالوحدة القومية عكس ألمانيا وباقي الدول التي كان فيها الانقسام واضحا. ()

وكانت أخطر مرحلة هددت الاصلاح الديني البروتستانتي هو عهد حكم الملكة ماري (1552-1558م) ابنة الملك هنري الثامن من زوجته كاترين لارتباط انجلترا في عهدها بالمحالفات والمصالح الاسبانية والارتباط العائلي بسبب زواجها من قريبها فيليب الثاني ملك اسبانيا، فنكلت بالبروتستانت، وبعدها جاءت أختها على العرش وهي إليزابيث (1558-1603م)، كانت ذكية سياسيا، عادت بالسياسة الدينية على ما كانت عليه في عهد الملك إدوارد الأول بإحياء كتاب الصلوات البروتستانتية، وفصلت الكنيسة فصلا تاما عن روما. ()

4- عودة الصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية واندلاع الحروب الدينية في أوروبا (حرب الثلاثين عاما 1618-1648م ونتائجها) :

من أسباب عودة هذا الصراع فشل صلح أوجزيبرج (1555م) الذي أنهى الحرب الدينية في المقاطعات الأ لمانية، أذ أنه لم يوفق بين مطالب الكاثوليك والبروتستانت في مسألة أملاك الكنيسة فقد حاول البروتستانت ا لاستيلاء على هذه الاملاك – رغم ان صلح 1555م حددها- بحجة أنهم هم المنتصرون() فصارت بعد ذلك هذه الأملاك محل أطماع البروتستانتية المنتصرة كما أن هذا الصلح لم يعترف رسميا بالعقيدة الجديدة أو التسامح الديني، ويلاحظ في هذه الفترة وجود تنافس شديد بين البروتستانتية التي انتشرت بقوة في الشمال الألماني والكاثوليكية التي انتشرت في الجنوب من ألمانيا، بل وجدنا الكاثوليكية قد انتعشت بسبب الاصلاح المضاد الذي قامت به البابوية (نشاط جماعة اليسوعيين بسبب قرارات مجمع ترانت)، هذا جعل

البروتستانتيين يرون فيهم خطرا يهددهم فظهر ما عرف بالاتحاد البروتستانتي للمواجهة، فرد الكاثوليك بإنشاء عصبة كاثوليكية مؤيدة من الامبراطور، هذا أدى إلى انقسام ألمانيا إلى معسكرين متنازعين، حاول كل معسكر تنظيم شؤونه العسكرية والمالية وإيجاد حلفاء من الخارج، ويلاحظ نقطة ضعف بالنسبة للبروتستانت هو انقسامهم بين لوثريين وكالفينيين وهذا ما زاد في قوة الكاثوليك. ()وقد مرت هذه الحرب بأربعة أدوار:

- الدور البوهيمي 1618-1623م:

بدأت الحرب في بوهيميا التي انتشرت فيها البروتستانتية عندما حاول الامبرطور رودولف إقامة حكومة مركزية قوية والقضاء على الانقسام الديني لتدعيم سلطته، فقام البروتستانت بالثورة وهاجموا مقر الحكومة وقبضوا على الأعضاء الكاثوليك وأنصار الامبراطور ثم كونوا حكومة من أنصارهم 1618م وأخذت الحرب في البداية مظهرا دينيا للصراع بين البروتيستانتية والكاثوليك لتتحول إلى نزاع سياسي ديني بين أسرتين كبيرتين (الهابسبرج الألمانية والبوربون الفرنسية)()، وفي سنة 1620م رجحت الكفة لصالح الكاثوليك الذين استولوا على معظم المناطق البروتستانتية وأخذوا يعملون على إعادة نشر الكاثوليكية، وسرعان ما انتقلت المعارك من الجنوب الألماني إلى شماله على الحدود الدانماركية. ()

- الدور الدنماركي 1624-1629م:

رأى ملك الدنمارك في انتصار الكاثوليكية تهديدا لمصالح عائلته، بل كان يطمع في الحصول على مناطق ألمانية بروتستانتية على حدود بلاده تمكنه من إنشاء مملكة باسم ولده الصغير، وقد تحاربت قوات الامبراطور الأ لماني المؤيد من الكاثوليك ضد قوات الملك الدانماركي المؤيد من البروتستانت، انتصر الكاثوليك واستولوا على جميع الأقاليم البروتستانتية وأرجعوا أملاكها الى الكنيسة. ()

- الدور السويدي 1630-1635م:

دخلت السويد هذه الحرب بسبب تعاطف ملكها (جوستاف أولف) مع البروتستانت الألمان وكذلك خوفا من هيمنة الكاثوليكية ورغبة في توسيع نفوذه (السياسي) على الحدود الشمالية الألمانية ذات الأكثرية البروتستانتية، وقد لقي هذا الملك تشجيعا من فرنسا ذات المذهب البروتستانتي الكالفيني، وقد كانت الأسرة المالكة في فرنسا (البوربونية) تريد إضعاف الأسرة الملكية الألمانية (الهابسبرج) التي تدعم الكاثوليك، وقد استطاع ملك السويد بالتعاون مع البروتستانت الألمان يتقدمهم حاكم سكسونيا من الانتصار على الجيش الكاثوليكي (1631م) إلا ان الكاثوليك الألمان سرعان ما تداركوا هذه الهزيمة وانتصروا على البروتستانت (1634م). عندها تدخلت فرنسا. ()

- الدور السويدي الفرنسي (1635-1648م:

كان هدف فرنسا من دخول الحرب إنقاذ البروتستانتية ومواجهة نفوذ أسرة الهابسبرج حاصرت الجيوش الفرنسية والسويدية الامبراطور الألماني (فرديناند الثالث)، زحفت الأولى من الجنوب والثانية من الشمال، ورغم مساعدات إسبانيا للامبراطور والجيوش الكاثوليكية فإن السويديين والفرنسيين حققوا انتصارات كبيرة واضطر الامبراطور (فرديناند) قبول المفاوضات توجت بعقد صلح وستفاليا (1648م) نص على:

- لكل أمير من أمراء ألمانيا حق اختيار المذهب الذي يريده في إمارته.

- الاعتراف بمذهب كالفن.

- اعتماد 01 جانفي 1624م بدلا من 1552م أساسا للفصل في أملاك الكنيسة، فكل من يملك يبقى ملكا له بعد هذا التاريخ.

- استقلال سويسرا عن الامبراطورية الألمانية.

- استقلال هولندا (كانت فيها حركة تحرر بروتستانتية) عن اسبانيا الكاثوليكية.

- حصول فرنسا على الألزاس النمساوية وبقاء سيطرتها على الراين (الألمانية) يؤدي فيما بعد إلى العداء بين

ألمانيا وفرنسا. ()

وبذلك نلاحظ أن صلح وستفاليا (1648م) أنهى حقبة مريرة من الصراع الديني والمذهبي دامت حوالي مائة سنة منذ ظهور حركة مارتن لوثر، أدى بأوربا إلى الدخول في مرحلة لا رجعة فيها من حرية الاعتقاد والتسامح الديني والمساواة بين المذاهب.

خلاصة: في ختام هذا المبحث نقول إن الحركة الانسانية وحركة الاصلاح الديني أعادتا تشكيل المنظور الفكري للفرد الأوربي، جعلته قادرا على التعبير عن عواطفه ومشارعه وإحياء تراثه القديم والاستفادة منه، بل جعلته قادرا على تحطيم الجدار الصلب الذي كان بينه وبين الكنيسة، التي انتقدها وأصلح من شأنها، ولعل هذا ما جعل الحركة الإنسانية على علاقة وطيدة بالاصلاح الديني فهي التي انبثقت من فكرة الاهتمام بالانسان وتحريره من عبوديته الفكر المتحجر (اللاهوتي) للكنسية.